

رندة الأندلسية في عهد بني مرين
بين النص التاريخي والوثيقة الدبلوماسية
آثارها الباقية: جامعها الكبير - رجالاتها
للدكتور عبد الهادي التازي

لقد كان في صدر الحوافز التي حركتني لمراجعة تاريخ (رندة) إغفال طائفة من الباحثين، وفي صدرهم المهتمون بتاريخ الأندلس. من المؤرخين المعاصرين من قالوا عنها في الموسوعة الإسلامية باللغات الأجنبية لم يكن لها شأن يذكر أيام ملوك بني مرين فإن آثارهم فيها ظلت وراء الظل مكتفياً بالقول إنها (أي رندة) غدت مدة من الزمن إقطاعاً لبعض المتنفذين.

ومنذ أيام الصبا كنا نحفظ - بالمدرسة الحرة - شعراً لأحد رجالاتها أبي البقاء الرندي الذي رثى الأندلس^(١) في نونية كنا نستدر بها العبرات في بعض المناسبات.

وقد شعرت وأنا أزور رندة في أول رحلة لي إلى أوربا في صيف

١٩٥٢م بحمولة تلك القصيدة في ذاكرتي وحمولة صاحبها أيضاً^(٢). وقد اكتشفت اليوم وقد عزمت على مراجعة تاريخ المدينة، أن نقطة البداية في هذا التأليف ستكون من هذه النونية ومن صاحبها أبي البقاء.

لقد حل أبو البقاء ببلادنا المغرب، وقد أدلهم الأمر في الأندلس، عندما سمع الناس أن ملك غرناطة، "اجتهاداً" منه لكي يجعل حداً لأطماع حكام قشتالة يتنازل عن عدد من المواقع والحصون، ويفوت عددًا من القواعد الأندلسية آملاً في إسكاتهم نهائياً.

حل ببلادنا لاسيما وقد سمع عن ملك جديد من نمط جديد اسمه أبو يوسف بن عبد الحق أول ملك من دولة بني مرين.

لقد نتاثر العقد في الأندلس وأخذت تتهاجر يوماً مما استحققت معه الرثاء. ولم يكن غير أبي البقاء راثياً، ولم يكن غير شعره معبراً عن الأسى، وهكذا ورد يحمل رسالته الشعرية التي يقول فيها:

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْبَيْضَاءُ رَايْتُهُ

أَدْرِكُ بِسَيْفِكَ أَهْلَ الْكُفْرِ، لَا كَانُوا!!

يَا رَاكِبِينَ عِناقَ الْخَيْلِ ضَامِرَةً

كَانَتْهَا فِي مَجَالِ السَّبْقِ عَقْبَانُ!

أَعِنْدَكُمْ نَبَأٌ مِنْ أَهْلِ أُنْدُلُسٍ

فَقَدْ سَرَى بِحَدِيثِ الْقَوْمِ رُكْبَانُ^(٣)؟

وصول أبي البقاء للمغرب

سفيراً عن نفسه! مصحوباً بقصيدته

هما معاً كانا وراء تفكر السلطان في

القصيدة الأندلسية، وقد وجدنا أن وفداً

رسمياً من الأندلس يأتي إلى مراكش

عام ٦٧٤ = ١٢٧٥م، ينظم إلى بقاء

البقاء^(٤).

جرت المفاوضات الأولى:

والمهم هنا أن نذكر بالاتفاقية

التي تمت بين الملكين حوالي هذا

التاريخ، وكانت تقضي بتنازل

ملك غرناطة لملك المغرب عن (رندة) لتمكنه من مساعدة الأندلس، وليس (رندة) وحدها ولكن كذلك طريف والجزيرة الخضراء.

وهكذا نجد أن الخريطة

الجغرافية للمغرب تمتد ابتداء من هذا

التاريخ لتشمل مدناً أخرى في جنوب

الأندلس هي رندة وطريف والجزيرة

الخضراء.

لقد أصبحنا نجد اسم (رندة)

يتصدر المراسلات الدبلوماسية

المغربية مع الجهات الأجنبية، وكذا

الاتفاقية التي يعقدها المغرب مع

الدول الأخرى.

ولقد كان من أبرز ما

شاهدته هذه السنة وبالضبط يوم ١٥

من ربيع الأول سنة ٦٧٤ هـ الموافق

٩ من سبتمبر سنة ١٢٧٥م المعركة

الكبرى التي عرفت باسم المكان الذي

وقعت فيه، وهو اسم استيجة (Ecija)

التي ردت الاعتبار للمسلمين في

الأندلس بعد نكسة العقاب عام ٦٠٩ =

١٢١٢ - ١٣ وهذه هي المعركة التي

كانت مصرعاً لقائد جيش ملك قشتالة وصهره دونونة **DENOUNA** بل وإلى مصرع العدد الكبير من أنصار نونو، لدرجة أن المقاتلين المغاربة اتخذوا - على ما قيل - من كومة رؤوس القتلى مئذنة صعدوا عليها لأذان العصر! وهي المعركة التي أكسبت العاهل المغربي من الآن لقب المنصور.

وقد بعث السلطان أبو يوسف إلى العدو المغربية برسالة يشرح فيها ظروف الموقعة وما انتهت إليه من نصر باهر، فعمت المفرحات وقرئت الرسالة المذكورة على المنابر، وفي صدرها منبر جامع القرويين بفاس، ونشرت رايات قشتالة منكسة في أعلى منار الجامع المذكور، وجامع الكتبيين بمراكش ليشاهدها الحاضر والبادي. على حد تعبير المصادر.^(٥)

في أعقاب هذه المعركة سمعنا لأحد الشعراء يقول في جملة ما قال هذا المطلع:

هَبَّتْ بِنَصْرِكُمْ الرِّيحُ الْأَرْبَعُ
وَسَرَتْ بِسَعْدِكُمْ النُّجُومُ الطُّلُوعُ
وَاسْتَبَشَّرَ الْفَلَكَ الْأَثِيرُ تَيْقُنًا
أَنَّ الْأُمُورَ إِلَى مُرَادِكَ تَرْجِعُ!
ولا بد لنا أن نذكر هنا من جهة أخرى، أن هذا النصر الذي أحرزه عليه السلطان أبو يوسف كان باعث ريب من لدن ملك غرناطة الذي أخذ يخاف من أن يفعل به ما فعله المرابطون بالمعتمد بن عباد! هنا وجدناه يمد اليد إلى ملك قشتالة، بل إنه يمد اليد مع قشتالة إلى يغمراسن أمير المغرب الأوسط لإنشاء حلف ثلاثي ضد أبي يوسف!!! من حسن الحظ أن الحلف الثلاثي لم يدم طويلاً.

وعلى أثر هذا حدث أن ثار الأمير دون صانش **Don Sanch** على والده ألفونسو العاشر وآزره معظم النبلاء واستطاع أن ينتزع العرش لنفسه، الأمر الذي دفع والده المخلوع إلى السلطان أبي يوسف بن عبد الحق المنصور.

وهكذا أرسل في غرة المحرم ٦٨١ = أبريل ١٢٨٢ سفارة مؤلفة من عيون الأحبار إلى مراكش تحمل رسالة تطلب إلى العاهل المغربي المدد والعون ضد ولده فاستجاب السلطان أبو يوسف لصريخه وعبر البحر في قواته إلى الأندلس في ربيع الثاني سنة ٦٨١ = يولييه ١٢٨٢م حيث هب ألفونسو إلى استقبله على مقربة من مدينة (رندة) موضوع حديثنا حيث رهن عنده تاج أجداده الذي تبقى لديه، فأمدّه السلطان بمئة ألف دينار من الذهب الخالص.

وقال ابن خلدون عن هذا التاج الذي كان ذخيرة عند أسلاف ألفونسو العاشر: " وبقي بيدهم فخراً للأعقاب لهذا العهد" (٧).

ومن المهم أن نذكر هنا بحدث دبلوماسي بالغ الأهمية، ويتعلق الأمر بالرسالة التاريخية التي أرسلها العاهل المغربي وهو مقيم في استيجة إلى ملك فرنسا فيليب لوهارد يطلب إليه

الله أن يصلح ألفونسو العاشر ويغير موقفه منه.

كانت هذه المراسلة تحمل تاريخ ٢٠ رجب ٦٨١ = ٢٤ أكتوبر ١٢٨٢م، وقد حررت بعد أن تحسس أبو يوسف أن ألفونسو اشتكى إليه من موقف ملك فرنسا إزاء ثورة ولده عليه.

ويحق للدبلوماسية المغربية أن تعتر بهذا الخطاب الذي أرسله أبو يوسف إلى العاهل الفرنسي والذي حصلت على صورته من متحف الأرشيف الوطني بباريس تحت رقم ٢٠٠. (٨)

لقد كان من عبارات العاهل المغربي: "فإن أصابكم ما غير خاطركم من قبل الملك المذكور أو غير خاطره من قبلكم فنحن نضمن لكم زوال ذلك حتى تعود المودة على أكمل ما تقرُّ به العيون".

وقد عثرت بين وثائق باريس على مرسوم ملكي (ظهير) للسلطان أبي يعقوب يزكي هذا الخطاب

قبل الوصول إلى أراضي مملكة
غرناطة.

هذا إلى الأيام التي عرفها أيام
العاهل المريني السلطان أبي سالم
علي الذي تحدثت عنه المصادر
العربية والإسبانية كذلك.

ولا بد أن تقرأ ما ورد عند
المقري في نفح الطيب:

ولم يزل بنو مرين يعينون أهل
الأندلس بالمال والرجال، وقد تركوا
فيهم حصّة معتزة من أقارب السلطان
بالأندلس غزاة، فكانت لهم وقائع
في "العدو" المذكورة، ومواقف
مشكورة.^(٩)

رندة من خلال النصوص

التاريخية

تقع مدينة رندة في جنوب
الأندلس إلى الشمال من الجزيرة
الخضراء، على ارتفاع أربعمئة وألفي
قدم من سطح البحر... وتقوم وسط
مدارج جبلية مترامية الأطراف عند
حافة هضبة صخرية.

وقد جعل منها موقعها الفريد

الصادر من الملك المغربي إلى الملك
الفرنسي، وهو أي الظهير يحمل نفس
التاريخ الذي يحمله الخطاب المشار
إليه.

ولم يقف الحديث عن رندة
فقط على عهد أبي يوسف المنصور
الذي أدركه أجله بالجزيرة الخضراء
يوم ٢٢ محرم ٦٨٥ = ١٨ مارس
١٢٨٦ على مقربة من المدينة الجديدة
التي بناها البنية **La Pena** قبل أن
ينقل إلى مقابر بني مرين بشالة
الرباط.

كما ولم يقف الاهتمام برندة
عهد ابنه أبي يعقوب بن يوسف،
ولكنه تجاوز ذلك إلى أيام السلطان
أبي الحسن الذي نجد ابن فضل الله
العمرى يتمنى له طول العمر من أجل
أن يتم أعماله الكبرى هناك على ما
سنرى.

وقد امتد الاهتمام برندة إلى
أيام السلطان أبي عنان الذي أذن
بزيارة الرحالة المغربي ابن بطوطة
إلى المنطقة المغربية بالأندلس

قلعة طبيعية منيعة... الأمر الذي حمل كل الذين كتبوا عنها على أن يصفوها بأنها من أهم المعاقل.

وقد كانت معروفة قبل وصول العرب إلى المنطقة، تحت اسم أروندا Arunda الاسم القديم عند الرومان، وقد عرب الاسم إلى رندة.

وقد كانت المدينة في عهد الخلافة الأموية بالأندلس (معقلاً) لإقليم تاكرنا الواسع، وإن معظم الذين تحدثوا عن رندة لاحظوا أن وصف المصادر العربية لها كان شحيحاً، ومع هذا لا بد أن نذكر أن في صدر التأليف التي قدمت لنا مدينة رندة، كتاب قلائد العقيان للفتح ابن خاقان (ت ٥٢٨ = ١١٣٤م).

لقد قدم لنا نصاً أدبياً جميلاً في وصفها... ذكر شلالها العظيم الذي كان له دوي كالرعد، وتحدث عن الوادي الذي يزيدها في الحصانة والامتاع، وتحدث عن حماتها الذين لا يتركون مجالاً للغزاة... أحد معاقل

الأندلس الممتعة، وقواعدها السامية المرتفعة، تطرد فيها على بعد مرتقاها، ودنو النجم من ذراها، عيون لانصبابها دوي كالرعد القاصف أو الرياح العواصف، ثم تتكون وادياً يلتوي بجوانب المدينة التواء الشجاع، ويزيدها في التوعر والامتاع، وقد تجونت نواحيها وأقطارها، وتكونت فيها لباناتها وأوطارها، لا يتعذر لها مطب، ولا يتصور فيها عدو وإلا علقه ناب أو مخلب^(١٠).

وقد لاحظنا باستغراب شديد أن الجغرافي المعروف الشريف الإدريسي في (نزهة المشتاق) اهتم بذكر موقع جغرافي في آسيا يحمل اسم (رندة) دون أن يلتفت إلى رندة الأندلسية التي كانت قريبة منه...!

إن القيام بجولة في المدينة يجعلك تحس بماضيها الإسلامي لأنها، فعلاً، وبالرغم مما لحقها من تغييرات وتبديلات ما تزال تحتفظ بالعديد من آثار العهد الإسلامي.

فكاد يكبو على وجهه فتمثل بقول
الشاعر:

.....

وما لا ترى مما يقي الله أكبر
وطلب الخليفة صدر البيت فلم
يوجد إلا في حفظ هذا البربري
النفري!

وقد ذكر ابن سعيد أيضاً من
شخصيات تاكرنا أبا عامر الذي نعته
ابن بسام بأنه كاتب مجيد وأن والده
كان من أعيان الدولة العامرية.

وقد كان من أبرز من ذكرهم
ابن سعيد من رجالات تاكرنا العالم
الأندلسي المعروف عباس بن فرناس
الذي ظهر، أول ما ظهر، أيام حكم
ابن هشام الملقب بالريضي
(ت ٢٠٦ = ٨٢٢) والذي وصف بأنه
حكيم الأندلس، الزائد على جماعتهم
بكثرة الأدوات (Accessoires) وبيته
معروف في بربر تاكرنا
TAKURNA، وكان فيلسوفاً حاذقاً،
وشاعراً مقلّحاً مع اطلاعه على علم
التنجيم.

وعلاوة على ما ذكره ابن

ومن المفيد أن نعرف أن بعضاً
من رجالات الأندلس أولوا اهتمامهم
للتعريف ببعض الكورات الأندلسية
تخليداً لذكر تلك المواقع ودورها
الاجتماعي والحضاري عبر التاريخ.
حيث نجد عليّ بن موسى بن سعيد
يخصص في موسوعته "المغرب في
حلى المغرب" ^(١١) كراسة مهمة سماها
الكتاب الأول، وجعل لها عنواناً هكذا:
(كتاب المعنى في حلى مدينة تاكرنا
TAKURNA).

وبعد أن يذكر أن (تاكرنا)
كانت بالذات قصبة هذه (الكورة) قبل
أن تخرب - وقد عرفنا أن رندة
نفسها كانت معقلاً لتاكرنا -
يذكر من رجالها الأفذاذ أمثال محمد
ابن سعيد الزجاجي البربري الأصل
النفري.

قال: وكان أول من استكتبه
الخليفة عبد الرحمن الأوسط (ت ٢٣٨
= ٨٥٢م)، وذكر ابن حيان أن سبب
سعادته أن الخليفة عبد الرحمن عثرت
به دابته وهو سائر في بعض الأسفار

سعيد عن (تأكرنا) في تأليفه السابق الذي نعتة بالكتاب الأول، أتى بكتاب ثانٍ يحمل عنوانًا هكذا : "كتاب الزبدة في حلى معقل رندة).

وقد اقتبس ابن سعيد في موسوعته (المغرب في حلى المغرب) من كتاب القلائد سالف الذكر كما أنه نقل عن (المسهب في أخبار المغرب) للحجاري قوله : إنها - أي رندة - معقل تعمم بالسحاب وتوشح بالأنهار العذاب .

وينقل ابن سعيد عن والده موسى بن سعيد أن أبا الفتح بن فاخر التونسي حدث له بها وحشة، فقال شعره الذي أورده بعض التأليف المهمة بالأدب الأندلسي.

قُبْحًا لِرَنْدَةٍ مِثْلَمَا

قُبَحَتْ مُطَالَعَةُ الذُّنُوبِ !

ومن تعلق ابن سعيد بمعقل رندة أنه لم يكتف بالبحث عن المنتسبين إليها كبلد، بل إنه أخذ يفتش عنهم بأوصافهم الوظيفية قضاة وأطباء وشعراء .

وهكذا ترجم للقاضي الكاتب أبي القاسم أخيل بن إدريس الرندي الذي نعرف ترجمة له في (تاريخ المن بالإمامة) لأبي مروان عبد الملك ابن صاحب الصلاة المتوفى ٥٩٤=١١٩٨م (١٢).

وقد كان ممن ترجم لهم ابن سعيد من أهل رندة من الأطباء وضمن كتابه (نجوم السماء في حلى العلماء) إلياس بن صدود اليهودي الطبيب الرندي، كان أيضًا ممن ذكرهم الحجاري في المسهب، وقال : إنه كان في صدر المئة السادسة، وأنشد له شعرًا على ما سنرى.

والى جانب الأطباء والعلماء ترجم ابن سعيد للشاعر حبلاص الرندي الذي قال عنه : إنه كان شاعرًا برندة لا يؤبه به لاختلال عقله، وكان ساقط الهمة لا يتعدى صلة الدرهم والدرهمين إلى أن حل برندة أحد رؤساء الملتزمين (المرابطين) فمدحه بقصيدة كافأه عليها بأكثر مما كان يتوقع إلى آخر الحديث.

وزيادة على الكتابين حول
(تاكرونا) (ورندة) حرر ابن سعيد كتاباً
ثالثاً حول الكورة الرندية، ويتعلق الأمر
بإضافة جديدة عن حصن من حصون
رندة يحمل اسم (أنده) الذي ينتسب
إليه أبو بكر محمد بن عمر الأندي
الذي يحكي ابن سعيد في المغرب أنه
قرأ معه على أبي علي الشلوبين إمام
نحاة المغرب وأنه شاهد منه ذكاء
مفرطاً قال : ولو أن الأمد طال فإنه
سيستولي على المدى !

ولكي تكتمل الصورة عن
الزعامة السياسية في إقليم (تاكرونا)
وأعمالها وعلى رأسها (رندة)، نرجع
إلى ابن عذاري المراكشي في كتابه
"البيان المغرب في أخبار الأندلس
والمغرب"^(١٣) حيث نقرأ في الجزء
الثالث حديثاً عن دولة هلال بن أبي
قرة المكنى بأبي نور، وهو هلال بن
أبي قرة بن دوناس الإيفراني صاحب
تاكرونا وأعمالها. هلال هذا بويغ
له برندة بعد موت إدريس بن
علي بن حمود الإدريسي

عام ستة وأربعمئة...

وقد خصص العالم الجغرافي
الشهير زكرياء القزويني (رندة) في
تأليفه المفيد (آثار البلاد وأخبار
العباد) بمعلومات غير مسبقة أعتقد
أنه استقاها من محيي الدين بن عربي
حين اجتمع به في دمشق عام ٦٣٠هـ
= ١٢٢٣م وتحدثا معاً عن الأندلس
ولاسيما عن نخلة إشبيلية.

نرى من الفائدة إيرادها هنا
حيث يذكر أنها مدينة حصينة بأرض
الأندلس، من أعمال تاكرونا قديماً،
استجلبت إليها المياه من ناحية
الشرق، وناحية الغرب فتوافى الماء
في داخلها.

ويوجد بها (نهر رندة) وهو نهر
يتوارى في غار لا يرى جريه أميلاً ثم
يخرج إلى وجه الأرض .

وبها (نهر البرادة)، وهو نهر
يجري في أول الربيع إلى آخر
الصيف، فإذا حل الخريف يبس إلى
أول الربيع من العام القابل ... وهو
على فرسخين من (رندة) ...

حديث ابن مرزوق عن رندة

أيام السلطان أبي الحسن

المريني

ويذكر ابن مرزوق التلمساني

(ت ٧٨١هـ = ١٣٧٩م) في كتاب

المسند الصحيح الحسن، في مآثر

ومحاسن مولانا أبي الحسن^(١٤) أن

أخبارًا وصلت العاهل المغربي

المذكور عن رجل من الأبطال

المجاهدين برندة له أولاد زهاء عشرة،

وكلهم فرسان مجاهدون فوجه

عنه فأشخص، فلما حضر سأل

عن حاله، فأخبره بأنه أدا

الفقر وأتعبته القلة، فقال له : كيف !

وأمر لحينه بكسًا ومراكب على عدد

أولاده، وأعطى كل واحد منهم مئة

دينار ذهبًا، وأعطاه بلدًا يسوغ له

فوائده ومجابهيه، وأعطاه دارًا اشترت

له، وكسوة لسائر أهله، وأخدمه خدمًا،

وكتب له بمرتب له وأولاده مشاهرة

وببراءات متشابهة، وسوغ لأولاده

محرثات على عددهم، وأعطاه بعد أن

أغناه وأرضاه، دينارًا ميينيًا mayini

... رأيته بعد صدوره من الخضراء

بزمان وهو يحمله معه، وسمعت أنه

كان يضعه بين يديه في كل صلاة

ويدعو، وأمسى بعد الإملاق من كبار

الأغنياء برندة، فعلا صيته وصاهر له

كبار أهلها .

ولا نودع ابن مرزوق في

"المسند " دون أن نذكر ما قاله عند

الحديث عما قام به العاهل المغربي

السلطان أبو الحسن مع المجاور له

صاحب قشتالة^(١٥).

قال ابن مرزوق وهو شاهد

عيان على هذا الحدث :

(ومدينة رندة والبلاد الدائرة بها

الراجعة إليها وإلى جبل الفتح، حماها

الله تعالى جارٍ عليها المرتبات الوافرة،

وقد باشرت، يقول ابن مرزوق

العطاء، فيها سنة، وقد تطوفت عليها،

وكان ذلك شأن مولانا في كل سنة

يوجه من يتطوف عليها ... وتوجه

معي كتاب الجبل ورندة. فقضينا

العجب من كثرة ما يخرج عنده في كل

سنة، ووصلت إلى الصخرة يعني

صخرة عباد ... ووقفت على الحدود
بين المسلمين والنصارى وسمعت
شكايات أهل الملتين (...).

وفي بلد رندة من آثار البناء
المحدث عن أمره والمعقل المحصنة،
والأبراج الشامخة والآبار المعينة
والزوايا والخانات، وسائر البلاد
الأندلسية الراجعة، فأحضرها، وألحقها
بالحوضر المعتبرة ... وأما ما أجازه
إلى الأندلس مع الزرع فلا يحظى قدره
لنظره.

قال : وقد كان من سنة ولاية
المولى أبي سعيد والده أن المراكب لم
تزل تترى، وتتعاقب شفعاً ووترًا، في
كل فصل، من القراير والمراكب
والغزوات والقوارب والشواني، كراء
وشراء، صيفًا وشتاءً، إلى سنة
٧٤٩ هـ فله في كل حصن من
الحصون ومعقل من هذه المعقل عدة
مخازن، وينضم إلى الزرع ما يحتاج
إليه من الآدم ويفتقر إلى ادخاره من
الحبوب وسائر الأقوات، وما يحتاج
إليه في عمل الآلات من الخشب

والحديد والنحاس والرصاص والقصدير
والجلد والجبن^(١٦) والشحم والزيت
للتأدم مما إذا رآه الناظر يعجب مما
يجتمع من ذلك المقدار مثل هذا
المقدار في المعمور.

ابن فضل الله العمري

وقبل أن يزور ابن بطوطة
الديار الأندلسية وصلها عام
٧٥٠ هـ = ١٣٤٩ م رحالة آخر ينتمي
لليدار الشرقية حيث قدم لنا فكرة
مفصلة عن العدو الأندلسية، واصفًا
الجهد الذي بذله السلطان أبو الحسن
المريني في سبيل ازدهار تلك البلاد
وبخاصة الأقاليم التي كانت تحت
تصرفه بمقتضى الاتفاقية الثنائية
السالفة الذكر.

والطريف في "مسالك الأبصار
في ممالك الأمصار"^(١٧) أنها تتقل
معلوماتها أحيانًا عن السفر الأول
المفقود من معلمة ابن سعيد المسماة:
(المغرب في حلى المغرب) سالفه
الذكر.

لقد قال العمري عن بني مرين:

إنهم لم يزالوا في الأندلس يشددون على الفرنج حملاتهم وهو أي العمري يستعمل عبارة البحر الشامي متجنباً كلمة السر الرومي! يقصد بها البحر المتوسط باصطلاح اليوم.

قال : وله (أي لأبي الحسن) بالأندلس الجزيرة الخضراء ورندة ومريلة ... وبقية الأندلس لولا جيوشه هناك لما بقيت ! وقد كان على ملكها للفرنج في كل سنة أربعون ألف دينار، فمنذ أجال بالأندلس خيله قطع تلك القطيعة وأنعش بها رفق الإسلام ...

وعندما يتحدث العمري عن غرناطة يتذكر بردها القارس، ويستشهد بقول ابن صاره الشنتريني الأصل، الألميري الوفاة عام ٥١٧هـ = ١١٢٣م، بقول ابن صارة دون أن يعلق على ما جاء في الشعر الذي يقول فيه :

أجلّ لنا ترك الصلاة بأرضكم

وشرب الحميا وهو شيء محرّم !

فراراً إلى نار الجحيم؛ لأنها أرق علينا من شلير^(١٨) وأرحم !!
لئن كان ربي مُدخلي في جهنم ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم !!
وإذا كنا نسمع عن أصحاب الكهف في عمان (الأردن) أو في جهات أخرى فإن العمري يفترض أنهم في لوشة.

ويلاحظ أن العمري يقسم البلاد الأندلسية إلى بلاد ساحلية وبلاد داخلية، وهو يستحضر تين مالقة الفريد من نوعه والذي سيشيد به أيضاً ابن بطوطة.

وبعد حديثه عن جبل طارق وتعميره من لدن السلطان أبي الحسن واتخاذه قاعدة لجنده داعياً لأبي الحسن : "والله يحمي هذا الملك لإكمال ما شرع فيه ... من غزو الفرنج واستعادة ... الإسلام منهم، وينصره النصر المؤزر، ويفتح عليه الفتح المبين ... إلى أن يقول عن رندة ما يلي :

ومن البلاد الكبار غير البحرية

للرحالة الكبير ابن بطوطة عن مدينة
(رندة) التي كانت وقتها تابعة لمملكة
فاس، تابعة للعاهل المغربي السلطان
أبي عنان فارس ابن أبي الحسن ...

لقد كان تنقل ابن بطوطة هذه
المرة إلى خارج المغرب ليس على
نحو ما كان نحو المشرق قبل نحو
من ثلاثة عقود، إن تنقله أي ابن
بطوطة اليوم كان - على ما أعتقد -
بأمر من السلطان أبي عنان الذي
كان يعيش ظروفًا دقيقة مع والده الذي
- كنا يعلم - أقصي من لدن
ولده^(٢٠).

وسنبقى مع ابن بطوطة في
(رندة) التي زارها الرحالة ومكث بها
نحوًا من خمسة أيام وعاد على طريقها
إلى المغرب بعد أن واصلته الأميرة
بهارة والدة أبي الحجاج يوسف ابن
إسماعيل^(٢١) بعدد من الدنانير الذهبية
"ارتفق بها ابن بطوطة" على حد قوله
في رحلته.

وصف ابن بطوطة مدينة رندة
بأنها من أمنع معاقل المسلمين

رندة، وهي الجزيرة والجبل ومربلة وما
والاها تحت يد صاحب بر العدو
السلطان أبي الحسن، أحسن الله إليه
مراعاته، وبين رندة والجزيرة الخضراء
مسيرة ثلاثة أيام، وهي جبلية كثيرة
الفواكه والمياه والحرث والماشية،
وأهلها موصوفون بالجمال ورقة البشرة
واللطافة^(١٩).

ولا بد أن نشير إلى أن
القلقشندي في صبح الأعشى استفاد
في حديثه عن الأندلس وخصوصًا
عن (رندة)، استفاد استفادة كاملة من
ابن فضل الله العمري ... ولو أنهما
معًا أهملوا الحديث عن المدينة
العظيمة التي أنشأها السلطان أبو
يوسف بن عبد الحق المسماة
"البنية" ... أنشأها إلى جانب الجزيرة
الخضراء التي كانت أيام زيارة العمري
بيد النصارى أعادها الله، كما يقول
العمري .

ابن بطوطة في رندة

٥٧٥٢ هـ = ١٣٥١ م

من حسن الحظ أن نجد شهادة

وأجملها وضعا، وكأن سائر الذين كتبوا عن موقع رندة سواء قبل حديث ابن بطوطة أم بعده، كأنهم لم يجدوا تعبيرًا صادقًا عن حقيقة المدينة إلا أنها معقل جيد صعب المنال، وبالتالي حصن منيع يصعب فتحه على الذين يحاولون التغلب عليه ... ما يفسر بالواضح أن المؤشر الأول الذي كان وراء سقوط الجزيرة الأندلسية برمتها هم الاستيلاء على رندة، وهكذا فبمجرد سقوطها عام ١٤٨٥م تلتها مالقة عام ١٤٨٧م على أن تتبعهما غرناطة عام ١٤٩٢م ...

ولكن الملاحظة التي أثارت الانتباه بصفة لافتة هي أن الرحالة الذي تعودنا منه، طوال جولاته السابقة، أن المكان الأول الذي ينال منه اهتمامًا كبيرًا لوصفه والحديث عن أطرافه وجناباته، هذا المكان هو المسجد، هو الجامع ... وقد لاحظنا، وابن بطوطة يأخذ طريقه إلى الأندلس - أنه يتحدث عن مساجد

جبل طارق ... وسنرى أنه - وهو في مالقة، يتحدث عن الجامع وينعته بالجامع الأعظم ... لكنه أي ابن بطوطة سكت نهائيًا عن الجامع الكبير لرندة، الأمر الذي استغربه كل من اهتم بالرحلة ...

وقد قدم لنا ابن بطوطة القائد السياسي للمدينة على ذلك العهد الذي كان هو الشيخ أبا الربيع سليمان بن داود العسكري الذي يعتبر من أقرب الرجال الثقاة إلى السلطان أبي عنان على ما يذكر ابن الأحمر في روضة النسرين.

وبعد الحديث عن القائد الذي بيده أمر المدينة يقدم لنا ابن بطوطة قاضيها الذي كان، بالصدفة، ابن عمه الفقيه أبا القاسم محمد يحيى بن بطوطة الذي سنذكره كذلك ضمن معجم الشخصيات التي كانت لها صلة برندة، معتمدين في ذلك على ما عرفناه عن هذه الأسرة من خلال كتب التاريخ ...

إلى جانب هذين الرجلين التقى

استدعاه - ربما بإيعاز من الرحالة المغربي - لكي يشغل منصب شيخ زاوية النساك على ما سنذكره بتفصيل عند حديثنا عن معجم شخصيات رندة^(٢٣).

ويبدو أن ابن بطوطة كان حريصاً على أن يعطينا معلومات أكثر عن الشخصيات العلمية الموجودة في المدينة حيث ذكر أنه، أي الرحالة، لقي جماعة آخرين من الصلحاء الذين كان منهم عبد الله الصفار^(٢٤) وغيره ... لقد كانت رندة بالفعل قاعدة من قواعد الأندلس.

قضى ابن بطوطة خمسة أيام في رندة قبل أن ينتقل إلى مربية (Marbella) ثم مالقة... ولا بد أن نؤكد أن عودة ابن بطوطة إلى بلاد المغرب كانت كذلك على (رندة) لكنه لم يقدم لنا عن المدينة أية كلمة زائدة، لا ندري أسباب هذا المرور السريع دون الحديث عن القوم الذين لقيهم وربط معهم علاقات ود وصحبة

ابن بطوطة بالفقيه القاضي الأديب أبي الحجاج يوسف المنتشاقري [نسبة إلى منتشاقرة (Montejicar)] الذي ضيف ابن بطوطة في بيته، والذي نعتقد أنه قاضٍ ثانٍ في البلدة مما يعبر عن كثرة ساكني المدينة ونواحيها وحاجتهم إلى تعدد القضاة.

وقد لقي ابن بطوطة بالمدينة أيضاً خطيب المسجد الجامع الذي نعتة ابن بطوطة بالرجل الصالح والحاج الفاضل، وكناه بأبي إسحاق وسماه إبراهيم المعروف بالشندرج^(٢٢) وقد أفادنا عن خطيب جامع رندة هذا بمعلومة مهمة، وهي أن الخطيب المذكور انتقل إلى المغرب، إلى مدينة سلا حيث أدركه أجله ... قلنا معلومة "مهمة" لأننا أولاً عرفنا عن اسم خطيب الجامع الذي كنا نتحرق لمعرفة المزيد من أخباره ... ثانياً لأنه أفادنا عن تنقل هذه الشخصية للمغرب حيث علمنا، فيما بعد، أن السلطان أبا عنان

ولعل لظروف ابن جزى أثرًا على هذا الاختصار.

رندة في معيار الاختبار

لابن الخطيب ت ٧٧٦ هـ

وقد عرفنا عن شهادة العمري وابن بطوطة أننا لا بد أن نلتفت إلى شهادة أندلسي من عيار ثقيل لا يبعد عنها سكنى ذلك هو الوزير لسان الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) في تأليفه (معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار^(٢٥)) الذي قال فيه عنها، وكان يتحدث عنها كموقع استراتيجي مهم في المنطقة، وإن من يعرف أسلوب ابن الخطيب لا بد أن يزن كلماته واحدة واحدة، ويعرف عن حملتها وما تعنيه من أسرار.

قال : "إنها أي (رندة) أم جهات وحصون وشجرة ذات غصون، وجناب خصب وحمى مصون، بلد زرع وضرع وأصل وفرع، مخازنها بالبر ماليه، وأقواتها جديدة بالية، ونعمها بجوار الجبل متوالية، وهي بلد أعيان وصدور، وشموس وبدور،

ودور أي دور، وماء واديها يتوصل إليه في جدور محكم مقدور".

والإشارة هنا من لسان الدين إلى استعمال النورية، والناعورة التي كانت مستعملة آنذاك في الأندلس والمغرب لحمل الماء إلى أعالي الحدائق والحقول.

ويختم لسان الدين شهادته عن (رندة) بمعلومة تاريخية مهمة لا بد أن تستوقفنا، ويتعلق الأمر بأن (رندة) قبل أن تسقط نهائيًا كانت تتعرض للمضايقات والاجتياحات والغارات نظرًا لمركزها ...

"إلا أن العدو طوى ذيل بردها، وغصب بنيانها، وكيف السبيل إلى ردها ؟ وأضاق خارجها، وخفض معارجها، وأعلى طائرها ودارجها^(٢٦) في إشارة إلى أن الروم كان يناوشها بغارتها فيثير طيورها فتعلو في الجو كما يثير غبار طرقها.

وما تزال المدينة تحتفظ إلى اليوم ببعض الأطلال التي تجعلنا

نستحضر أيام الوجود الإسلامي بها
مما تهتم به اليوم النشرات السياحية
والكتب التاريخية.

سنقف على آثار بعض
الأسوار والأبواب التي صمدت إلى
اليوم وأصبحت كأطلال تتحدث عن
الأمس ...

هذا إلى بقايا القنطرة والمئذنة
... والحمام العربي الذي يحتوي على
بعض عقود متقابلة، يعلوها سقف
تخلله كوات للنور ...

هذا إلى بقايا بيت الأمير
المريني أبي مالك الذي أطلق على
منزل اسم منزله العملاقة Casa del
Gigante.

ولا بد أن نشير إلى أن الأمير
أبي مالك هو ابن السلطان أبي
يوسف، وهو الذي كان يتخذ من
الشاعر المعروف مالك بن المرحل
كاتباً له.

هذا إلى البئر الذي يطلق عليه
اسم المنجم MINA

وسنقف على أطلال لما يسمى

باب المغاور uerta de Almogavar.

* * *

ولا ننسى أن هناك تراثاً آخر
في (رندة) يذكر في الوجود العربي لم
ينتبه إليه الذين تحدثوا عن (رندة)،
ويتمثل هذا التراث في ظاهرتين
اثنتين: الأولى الطبخ في رندة الذي
ينزع إلى الطبخ الذي وصفته مصادر
أمس، وكلنا يعرف عن أن المعتمد بن
عباد حاكم رندة، في فترة من الزمن،
كان ممن أسهم في صناعة المطبخ،
وأنه كان يعتمد على نفسه في تحضير
طعامه !!

سنقف على صحن في
مطاعم (رندة) تذكر فيما قرأناه عن
صحن (مبعر العجول) ولا بد أن أذكر
هنا بصحن أبي العلاء بن عبد
المؤمن وقائد الأسطول في سبته،
وفيما عرفناه عن المشروبات التي
يتخصص فيها الشرايبيون الذين ما
زالوا يحتفظون بهذا اللقب في المغرب
الأقصى (٢٧).

هذا إلى الحديث عن كتاب

الأغذية وحفظ الصحة التي سنذكر بعضها عند ترجمة صاحبها محمد ابن إبراهيم الرندي الذي ألف كتاباً حول الموضوع برسم الوزير أبي عمرو بن أبي يزيد بن أبي خالد الشريشي^(٢٨).

وكان مما أثار انتباهنا ولوع الرنديين بمصارعة الثيران التي كانت رياضة معروفة بمدينة فاس الجديد عندما قرأنا عن مصارعة الأسود والثيران على ما هو معروف في التأليف المغربية ذات الصلة بتاريخ الأندلس، الأمر الذي جعلنا نعتقد أن هذه العادة كانت في الأصل مبادرة مغربية وتطورات إلى أن قام الإسبان أنفسهم بمصارعة الثور عوض الأسد^(٢٩).

الجامع الكبير في رندة ...

في مقال له بعنوان القصة الإسلامية^(٣٠) رندة La Acropolis Musulmana de Ronda. في مقاله ذلك شبه الأستاذ بالباس رندة بالأكروبوليس في جبال أولامبيس

Olympis في اليونان لارتفاعها وحصانتها...

وقد خصص الأستاذ المذكور للمسجد الجامع بضع صفحات كما أنه تحدث عما بقي من مئذنتها.

وعن الجزء الخاص بالمحارب يذكر الأستاذ بالباس أن العقد المحيط بالمحارب يأخذ شكل حذوة الفرس وهو متجه للجنوب، واتساعه متر وربع المتر وهو مزخرف بزخارف جصية بها كتابة داخل شريط اتساعه ٢٢ سم.

ويرتكز عقد المحارب على تيجان جصية مزخرفة بزخارف نباتية وعلى جانبي المحارب توجد كتابات عربية على خلفية نباتية، وحتى في باطن العقد توجد زخارف أوراق وكيزان صنوبر.

قال : وتعد بقايا هذا المحارب متشابهة لأمثلة أخرى في غرناطة، وشمال إفريقيا في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي والثالث عشر حيث كانت (رندة) قاعدة من قواعد بني مرين.

الفنون المتبقية من هذا تفريك كثيراً إلى الفنون الجميلة التي يزدان بها محراب الجامع الكبير في تازة ... أو فاس.

نأسف - مرة أخرى - لكون ابن بطوطة لم يحرك قلمه في (رندة) لوصفه وإلا لكان أمام شهادة تمكننا من المقارنات بين المسجدين الجامعين.

ومن حسن حظنا أننا بالنسبة للجامع الكبير في رندة، الذي عوض بالكاتدرائية (صانطاً مارية ليونور)، من حسن حظنا أن أصدقاءنا من رجال الآثار ربما أشفقوا على ذلك التراث فاحتفظوا لنا ببقايا من المحراب الذي كان للمسجد الأعظم، والذي لا نشك في أنه من تشييد ملك من ملوك الموحدين ودخلته تغييرات وترميمات من لدن ملوك بني مرين وخاصة أوائلهم من أمثال السلطان العظيم أبي يوسف وأبي يعقوب ...

هذه البقايا من المحراب توجد اليوم عند مدخل "الكاتدرائية" عن اليسار، في مكان لا يثير الانتباه، لأن

قال بالباس : ومن هنا حدث التشابه الفني الذي جمع محراب رندة مع أشباهه في شمال إفريقيا وأكثر المحاريب شبهاً بمحراب رندة هو محراب مدينة تازة ٦٢٩ هـ = ١٢٩٢ م^(٣١).

ونعتقد حسبما توفر لدينا من بحوث ودراسات أنه كان يشبه إلى حد كبير، إن لم نقل نسخة طبق الأصل الجامع الكبير بفاس الجديد الذي شيده السلطان أبو يوسف والجامع الكبير لمدينة تازة الذي اشتهر بثرياه الكبرى التي لا تختلف كثيراً عن الثريا الكبرى التي رفعها الموحدون بجامع القرويين^(٣٢).

ويعتبر الأستاذ بوريس ماسلو Boris Maslow أن الجامع الكبير بمدينة تازة أجمل مسجد بعد جامع القرويين، وهكذا يمكن أن نتصور أن جامع رندة كان على شكل جامع فاس الجديد أو جامع تازة، وأن محرابه كان على نمط محراب المسجدين الجامعين، والواقع أن وقفة قصيرة أمام

الجانب المرئي من المحراب هو صورة لجانب ينعكس على مرآة ... وهذا الجانب الذي ينعكس على المرآة ... لا يساعد على الوصول إلى تبين مكوناته كما يجب التبيين، الأمر الذي حملنا على استحضار السلم الذي مكنا من أخذ صور لجميع النقوش التي تحيط بالمحراب وتعلوه أو تقع جوانبه يميناً أو شمالاً ... وربما سنستطيع القول : إن هذه النقوش تعتبر النقوش العربية الوحيدة التي بقيت إلى اليوم في رندة من غير أن تصل إليها يد المدجنين الذين كانوا يحرفون الآيات أحياناً ... وهي النقوش التي نقدمها اليوم باعتزاز كبير لأصدقائنا سواء في الأندلس أو في غير الأندلس ممن يهتمون بهذه الآثار الجميلة الرفيعة شاكرين اللواتي والذين ساعدونا على تحقيق رغبتنا^(٣٣).

لقد تكونت لدينا صورة "مركبة" لواجهة المحراب التي أثقلت برسوم هندسية رفيعة تحمل رسوماً من بينها رسم (محار) استعمله المرابطون

والموحدون والمرينيون على أقواس الأبواب ...

وقد كان مما التقطناه مما اكتفت بعض النشرات بنعته، بأنه كلمات قرآنية، كان مما التقطناه بخط جميل يحيط بالمحراب آية الكرسي ...

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ البقرة: ٢٥٥.

بينما نقشت على جنبات المحراب سورة الإخلاص : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ④

كُفُوًا أَحَدٌ ⑤ ﴾ الإخلاص: ١ - ٤ وقد نقش على يمين الواقف تجاه المحراب : ﴿ وَالْهَكْمُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ﴾،

وعلى يسار الواقف أمام المحراب بقية الآية: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ...﴾ وهو ما وجدناه منقوشاً في عملة المرينيين.

رندة في الوثيقة الدبلوماسية

على عهد بني مرين ...

لقد كان من الصفحات المطرقة في تاريخ رنده ما يتعلق بصداها في الأرشيف الدبلوماسي سواء منه المغربي أو الأندلسي أو الإسباني، ولم لا نقول سائر أوربا؟، وهكذا نجد لرندة حضوراً متميزاً سواء في الرسائل الدبلوماسية لبني مرين أو في اتفاقياتهم مع الدول الأخرى، وكذا نجد لرندة حضوراً في غرناطة، أو في الأرشيف التابع للتاج الأرغوني أو القشتالي أو خارج هذه المناطق.

كذلك في (بيزا) إحدى الجمهوريات الإيطالية، نجد ذكرها في الاتفاقيات أو في المخاطبات التي كانت للمغرب مع شركائه، الأمر الذي

كان له تفسير واحد هو أن (رندة) مغربية، وأنها بحكم موقعها الجغرافي، كانت تعتبر عند الأطراف المعنية مفصلاً من المفاصل المهمة في المنطقة بما تحتضنه من قصور ومواقع ذات بال. على نحو في طريف والجزيرة الخضراء.

وقد تم لقاء قمة بظاهر مدينة مربية أوائل ربيع الأول ٦٨٥ هـ = أبريل ١٢٨٦ م حيث "سويت" سائر المشاكل العالقة بين مملكة المغرب ومملكة غرناطة حيث تم التأكيد على التنازل لملك المغرب عن بعض المواقع الجزيرة الخضراء وطريف ورندة ...

بيد أن الالتزام بهذه الاتفاقية لم يستمر بسبب تدخل "الطرف الثالث" في الموضوع ولم نلبث أن وقفنا على اتفاقية سلام وصداقة مهمة بفصولها وبنودها بين الملك إسماعيل الأول ملك غرناطة وبين خيمي الثاني بتاريخ ١٧ ربيع الآخر ٧٢١ هـ = ١٦ مايو

١٣٢١ م وفيها : " ليعلم الواقف على هذا الكتاب أننا إسماعيل بن فرج بن نصر سلطان غرناطة ومالقة وألمرية ورندة والجزيرة " (٣٤) ما يعني أن رندة ما تزال تراوح مكانها ...

ونفس الموضوع يتكرر أوائل جمادى الآخرة ٧٢٦ هـ = مايو ١٣٢٦ م في اتفاقية بين (٣٥) ملك غرناطة محمد بن إسماعيل وبين خيمي الثاني.

ويبدو أن فكرة التتصيص في الاتفاقيات والمخاطبات على أن رندة تابعة للطرف المغربي لم تكن تشغل كثيرًا بال المغرب، يعتبرها قضية لا تستحق المراجعة.

ومن هنا نلاحظ أن اتفاقية السلام المبرمة مع الأمير يوسف بن أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر بتاريخ (تمت ذي العقدة ٧٣٥ هـ = ٢٢ يولييه ١٣٣٣م) ... والتي تتضمن الإخبار بأن العاهل المغربي السلطان أبا الحسن وافق على مضمونها، نلاحظ أن تلك الاتفاقية التي تذكر أن

(رندة) تابعة لملك غرناطة لم تزجج كتاب السلطان أبي الحسن ... ولم نلبث أن نرى أن الكتاب يتراجعون عن التساهل حول الصنيع لذلك نجد أن الظهير (المرسوم الملكي) الذي صدر عن السلطان أبي الحسن بتاريخ ١٥ صفر ٧٤٦ هـ = ١٧ يونيو ١٣٤٥ م ينص نصًا على أن أبا الحسن سلطان لمراكش وفاس وسجلماسة ودرعة كما أنه سلطان على تلمسان ووهران والجزيرة، وجبل الفتح ورندة ...

وإلى جانب هذا نعت الملك يوسف بن أبي الوليد صاحب غرناطة وما إليها من البلاد الأندلسية، من غير أن ينص على (رندة) التي كان يحتسبها لنفسه !

وقد تميز عهد العاهل المغربي السلطان أبو عنان فارس ابن السلطان أبي الحسن علي. تميز بأنه كان حريصًا على أن يذكر (رندة) في خطاباته الدبلوماسية، بل وفي الاتفاقيات التي يعقدها مع الدول الأخرى.

السلطان أبي عنان للملكة دونياليونار
Donea Leonare زوجة سلطان
مملكة أراغون التي بعثت إلى
السلطان أبي عنان تتوسل إليه أن
يعقد اتفاقية سلام وصلاح مع أخيها
صاحب مملكة صقلية^(٣٦).

في الجواب الذي بعثه أبو
عنان للملكة نجده يعتز بنعبت
السلطان بأنه سلطان فاس ومكناس
... وبلاد القبلة وبلاد العناب
والزاب والجريد ... وسبنة وجبل
الفتح ورندة.

وبعد وفاة السلطان أبي عنان
وقفنا على مراسلة للسلطان أبي سالم
إبراهيم بن السلطان أبي الحسن
موجهة إلى بيدرو الرابع يخبره فيها
بفتح تلمسان ... وهي بتاريخ ٧
شعبان عام ٧٢٦ هـ = ٢٤ يونيو
١٣٠٠ م.

والمهم عندنا في هذا الخطاب
من ملك المغرب إلى ملك أراغون أن
عاهل المغرب يرى من الضروري أن

ولم يكن ذلك فقط، من أجل
إشعار الآخرين بامتداد مساحة ملكه،
ولكن لمكانة القواعد الأندلسية عنده
وخاصة رندة. لاسيما ونحن نعلم أنه
أي العاهل المذكور هو الذي وجه
(٧٥٢ هـ = ١٣٥١ م) مبعوثه الرحالة
المغربي المعروف ابن بطوطة،
وجهه لمهمة بالأندلس وكانت رندة
المغربية في صدر المواقع التي
قدم عنها تقريراً ما يزال يتمتع بجذته
إلى اليوم.

والمهم في ديباجة الاتفاقية
العنانية المهمة التي تحمل تاريخ ٢٨
ربيع الآخر ٧٥٩ هـ = ٩ أبريل ١٣٥٨ م
التي تجمع المغرب بجمهورية بيزا التي
تكون قوة كبيرة على ذلك العهد أنها
تنص في مقدمتها على أن سيادة
العاهل تمتد إلى طنجة، وسبنة، وجبل
الفتح، ورندة، وما إلى ذلك من البلاد
الغربية والشرقية.

ولا بد ألا ننسى جواب

يحلي نفسه بأنه صاحب فاس ووهران
وتونس والجزائر ... وجبل الفتح ورندة
إلخ ...

ومعنى هذا أن المغرب ما
يزال يعتبر نفسه سيّدًا لمدينة
رندة^(٣٧).

عندما أذن بنو مرين لملك

غرناطة المخلوع باتخاذ (رندة) قاعدة

كل الذين يهتمون بتاريخ
الأندلس يسمعون عن أيام المحنة التي
عاشها سلطان غرناطة محمد بن أبي
الحجاج بن أبي الوليد بن نصر عندما
خلع عن العرش، وأمسى يعيش في
مملكة فاس إلى جانب سلطانها
عبد العزيز بن أبي الحسن (ت ٧٧٤ هـ
١٣٧٢ م).

وتشاء الظروف في الأندلس
أن تفتح بصيصًا في الأمل للملك
المخلوع ... ويتطوع المحبون
والمقدرون - وفي صدرهم ابن خلدون
الذي كان قد أصبح الكاتب الخاص
للعاهل المغربي - يتطوعون لرفع

ملتمس للعاهل المغربي حتى يسلم
للملك المخلوع موضع قدم فيه مدينة
(رندة) لتصبح عاصمته ومنطلقًا
لاسترجاع عرشه، حيث نرى أن
العاهل المغربي يوافق على
الملتمس ... وهنا ستفتح نافذة أخرى
على (رندة) وهي تعيش أيامًا من نمط
آخر ... حيث نكتشف بعض الرسائل
الموجهة إلى محمد المخلوع، كما
نكشف عن البريد الصادر عنها من
الملك المخلوع بما في ذلك مخاطبات
ذات طابع دولي ...

وقد حبيب إلي أن أهتم بآثار
هذا الملك المخلوع في (رندة) ... بما
في ذلك القصيدة اللامية الطويلة التي
وجهها إليه لسان الدين بن الخطيب
وهو في رندة قبل أن يمن الله عليه
باسترجاع غرناطة....^(٣٨)

وأماننا نبذ من تأليف ابن
الخطيب حيث جعل هذا المخلوع من
علي بن يوسف بن كماشة
كاتب ديوانه ... وهو الذي استدعاه

لاسترجاع ملكه...^(٣٩)

أ.د عبد الهادي التازي

عضو المجمع من المغرب

ملك قشتالة وكان له معه حديث في

حصن الصخرة المعروف ... ومن

رندة أخذ الملك المخلوع يخطط

الهوامش

للمغرب ج ٧ ص ٥٨، تعليق ٨، رقم الإيداع القانوني ١٩٨٦/٢٥م، مطابع فضالة المحمدية المغرب.

(٤) في أثناء مقام أبي البقاء بمراكش نظم قصيدة همزية عن حنينه إلى رندة:

وإذا مررت برندة ذات المنى

.....

سلم على تلك الديار وأهلها

فالقوم قومي والديار ديارى

د. حياة قارة : تحقيق ديوان أبي البقاء - تحت الطبع.

(٥) ابن خلدون ج ٧ ص ٣٩٧، الذخيرة السننية لمؤلف مجهول، نشر محمد بن شنب، الباب السادس، ذكر دولة أبي يوسف بن عبد الحق ص ٣٩٨ - د. التازي الدبلوماسي للمغرب، ج ٧ ص ٦٠، تعليق ١٣.

(٦) ابن خلدون ج ٧ ص ٢٢٤ - د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج ٧ ص ٦٤ تعليق رقم ٢٠.

(١) لم يكن أبو البقاء أول ولا آخر من رثى قواعد الأندلس، فقد قرأنا سينية لابن الآبار في بلنسية، وقرأنا عن مراثي لم يعرف أصحابها ... وقرأنا عن مريثة لابن خاتمة خصصها لمدينة (رندة) ... عبد الرحمن حجي: رثاء الأندلس، مجلة الرسالة المصرية، عام ١٩٣٥م العدد ١٣٢ - شبيب أرسلان رئيس مجمع اللغة العربية سورية : الحل السندسية ج ٣، ص ٥٤٨ ، ١٩٣٩م.

(٢) د. التازي رحلتي الأولى إلى فرنسا، رقم الإيداع القانوني ٢٠٠٨/٠٢١٦م، نشر دار الحرف، القنيطرة المغرب، بتنسيق مع الجمعية المغربية للبحث في الرحلة، الترجمة الفرنسية عام ٢٠٠٩م، عمل ع. القصري، مراجعة M..DEQUIT نشر سيروكو SIROCCO الدار البيضاء ٢٠٠٢..

(٣) د. التازي التاريخ الدبلوماسي

- (٧) د. التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج ٧، ص ١٨٩-١٩٠-١٩٢ تعليق ٥.
- (٨) ج ٤ ص ٣٨٥.
- (٩) القلائد، ج ١ ص ١٥.
- (١٠) قام زميلنا الراحل الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس مجمع اللغة العربية - رحمه الله - بتحقيق هذا الكتاب والتعليق، طبعة دار المعارف، طبعة الثالثة ١٩٥٣م، ص ٣٣٠-٣٣٤.
- (١١) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، وظهر الإمام المهدي بالموحدين على الملتئمين وما في مساق ذلك من خلافة الإمام الخليفة أمير المؤمنين، وآخر الخلفاء الراشدين، تحقيق د. عبد الهادي التازي، طبعة ثالثة، دار الغرب الإسلامي ١٩٨٧م، ص ١٥٧-١٥٨، (المغرب في حلى المغرب) لابن سعيد، ج ٢، ص ٣٣٥، تحقيق د. شوقي ضيف طبعة
- دار المعارف.
- (١٢) البيان المغرب، الجزء الثالث تحقيق ليفي بروفنسال، نشر دار الثقافة، بيروت لبنان، ٢٠ فبراير ١٩٢٩م.
- (١٣) كتب المسند عام ٧٧٢م = ١٣٧١م وتوفي صاحبه ابن مرزوق بالقاهرة عام ٧٨١ هـ = ١٣٧٩م، انظر تحقيق المسند من لدن الدكتورة ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ١٤٠١ هـ = ١٩٨١م.
- (١٤) المصدر السابق ص ٣٩٢، ص ٣٩٣.
- (١٥) المصدر السابق ص ٣٩٤.
- (١٦) التأليف لشهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩، من السفر الرابع الذي تناول ممالك اليمن والغرب الإسلامي وقبائل العرب، تحقيق د. حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي أبو ظبي ٢٠٠٢م.
- (١٧) شلير (Solarius) اسم الجبل

المشرف على غرناطة.

(١٨) يترجمونها بحسن البشر لأخلاق

الطبية، انظر مجلة الأندلس. ١٩٤٤

مجلة ٩ ج ٢ ص

L'Afrique moins 249

L'Egypte, traduction de

Gaudefray Demembynes,

.Paris 1927, P 244

(١٩) رحلة ابن بطوطة، تقديم

وتحقيق د. عبد الهادي التازي،

مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية

سلسلة التراث (خمسة مجلدات) رقم

الإيقاع القانوني ٣١٢/١٩٩٧م...

(٢٠) ابن الخطيب : الإحاطة في

أخبار غرناطة ج ٤، ص ٣١٩.

(٢١) هذا السيد ورد اسمه ضمن

الأساتذة الذين أخذ عنهم الشيخ أبو

زكرياء يحيى السراج وهو القاضي أبو

الحسن على النباهي، وقد نعت بالحاج

المتصوف أبي إسحاق إبراهيم بن

أحمد بن إبراهيم الأموي الرندي

المعروف بالشذروج، أخذ عنه السراج

عن النباهي حين قدم النباهي سفيراً

عن جزيرة الأندلس عام ٧٦٧هـ.

د. نعيمة جمال بنيس : فن الفهرسة

بالمغرب خلال القرن الثامن الهجري

ج II، ص ٥٣٤ بإشراف الزميل

الدكتور محمد الراوندي. ولعل المحققة

لم تراجع رحلة ابن بطوطة IV، التي

رسمت الاسم هكذا : الشندروج بالراء

والجيم وليس بالواو والخاء. وحول هذا

اللقب الشدرنج ظلت أميل إلى أنه

تحريف لكلمة الشدرنج على نحو ما

وقع من تحريف في النطق ببعض

قطع الشدرنج، وقد حفظنا من شعر

ابن اللبانة الذي قاله في المعتمد ابن

عباد دفين أغمات :

ونحن من لعب الشطرنج في يده

وطالما قمرت بالبيدق الشاة !!

أحمد الشرقاوي إقبال : لعبة الشطرنج

في ماضيها الإسلامي - مطبعة

النجاح، الدار البيضاء، ١٩٦٩م، ص

٧٩، ٨٠.

(٢٢) د. التازي : الزاوية المتوكلية

بفاس، البحث الذي قدم لأكاديمية

المملكة المغربية بتاريخ ١٨ شعبان

الجامعي للبحث العلمي ١٣٩٧هـ -
١٩٧٧م، مصدر سابق.

(٢٦) مؤلف مجهول : الطبخ في
المغرب والأندلس في عصر
الموحدين، تحقيق : د. عبد الغني أبو
العزم، منشورات مركز دراسات
الأندلس وحوار الحضارات،
ص ١٠-١٤-٥٣-١٣٨- د. التازي:
التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج ٢
ص ٣٠٥..

(٢٧) انظر الخزانة الحسنية رقم ٧٧
ورقم ٨٥، نشكر بهذه المناسبة قيم
الخزانة د. أحمد بينين على مساعدته
التمينة.

(٢٨) د. التازي: التاريخ الدبلوماسي
للمغرب، ج ٢ ص ١٤٧.

(٢٩) مجلة الأندلس نشر عام
١٩٤٤م وقد نشر هذا المقال أيضاً
ضمن أعمال بالباس في كتاب على
حدة بعنوان :

obra diversa vol 2 pp

360=412

أغتتم هذه الفرصة لأشكر المساعدة

١٤١٩ هـ الموافق ١٧ ديسمبر
١٩٩٨م، كما قدم البحث لمجمع اللغة
العربية بالقاهرة.

(٢٣) نعتقد أن لهذا الرجل الصالح
صلة بأبي عبد الله الصفار الذي نعتة
ابن الحاج النميري في كتابه (فيض
العياب) بالصوفي الرباني ذي
المقامات والأحوال المعمور القلب
بأنوار الجمال وأسرار الكمال انظر
ص ٢١٩، (من فيض العياب) دراسة
محمد شقرون - دار المغرب
الإسلامي بيروت ١٩٩٠م.

(٢٤) دراسة وترجمة إسبانية للدكتور
محمد كمال شبانة، نشر المعهد
الجامعي للبحث العلمي
١٣٩٧هـ=١٩٨٧م، ص ٦٧ - ٩٤
النص العربي ١٣٨- ١٣٩ النص
الفرنسي. وننبه هنا إلى أن أستاذنا
الدكتور أحمد مختار العيادي يقرأ
عنوان : الكتاب هكذا (الاختبار)
عوض الاختيار.

(٢٥) ابن الخطيب : معيار الاختبار
في ذكر المعاهد والديار : نشر المعهد

بحماس يساعدها على ذلك نجلاها
جاسم وإلياس ...

(33) Les documents annules
diplomates des anchvo de
la corona de avons for
maximiliano A Alarcon y
Ramon Garaa de Linares
MADRID – GRANADA. 1940
P4 -5-33-34.

(٣٤) المصدر السابق ص ٥٥-
٥٦.

(٣٥) د. التازي الدبلوماسي للمغرب
ج ٧ ص ١٧٥ - ١٨٣

(٣٦) وثائق أراغون ص ٢٢٤-
٢٢٥، مصدر سابق ص ٤٠٩ -
د. التازي : التاريخ الدبلوماسي
للمغرب ج ٧ ص ١٤٧ - ١٤٨.

(٣٧) القصيدة اللامية تبتدئ هكذا :

(الحق يعلو والأباطل تسفل)

والله عن أحكامه لا يسأل)

ابن الخطيب : نفاضة الجراب،
ص ١٨٥، د. التازي، التاريخ

الثمينة التي قدمها إلى محل ولدي
الأستاذ الدكتور حسام أحمد مختار
العبادي الذي يسير لحسن الحظ على
خطوات والده أستاذي أحمد الذي
سأظل مديناً له بتدليلي على الطريق
الصحيح ...

(٣٠) يفيد الدكتور حسام العبادي
الذي نجدد الشكر له أن هناك مصدراً
إسبانياً آخر يعالج تاريخ رندة، وهو
يحمل عنواناً هكذا.

De Nuero Sobre Ronda
Muselmana Basilio Pavon
Maldonado Awraq n⁵ 3
1980.

(٣١) د. التازي : جامع القرويين،
المسجد والجامعة بمدينة فاس، دار
الكتاب اللبناني طبعة أولى ١٩٧٢م
ج ١ ص ٨٠ الصورة رقم ١٦٠ وما
بعدها.

(٣٢) نريد أن نخص بالشكر الشريفة
سهام الوزاني الحسني عقيلة الدكتور
يسر ... التي تجندت لهذه المهمة

Los documentos Arabes/
Rachel Arie : L'Espagne
Musulmane au Temps des
Nasrides (1231 - 1492) .
Editions E. de Boccard.
1973. P : 117-118.

د. التازي : التاريخ الدبلوماسي
للمغرب ج ٧، ص ١٠٤، رقم الإيداع
القانوني ١٩٨٦/٢٥، مطابع فضالة
المحمدية.

الدبلوماسي، مصدر سابق، ج ٧، ص
١٠٤.

(٣٨) لسان الدين بن الخطيب :
نفاضة الجراب في علالة الاعتراب،
تحقيق د. أحمد مختار العبادي، دار
الكاتب العربي للطباعة والنشر،
القاهرة بدون تاريخ، ص ١٨٥،
نفاضة الجراب، ج ثالث تحقيق
د. السعدية فاغية.

